

العلوم الطبية بين المغرب والأندلس

عبدالعزیز بنعبدالله

الحارث بن كلدة أول رجل استحق عند العرب لقب الطبيب وأول من جمع بين تطبيق الطب وبين النظريات التي يرتكز عليها هذا العلم وقد درس هذا الطب بفارس ولقي الرسول عليه السلام وقد اكتسب هذا العلم أهمية كبرى في مختلف العصور الإسلامية جعلت منه فرضاً كفائياً مما حدا بالشافعي إلى القول : " لا أعلم علماً بعد الحلال و الحرام أنبل من الطب " وقد تطورت العلوم الطبيعية عند العرب حتى برزوا – كما يقول كودار Godard (في وصف تاريخ المغرب ص 449) على اللاتين وقد ترجم العالم الألماني (ويستنفلد) لثلاثمائة من أطباء العرب وتوجد في باريس وحدها ما بين 200 و 300 مجلد (لوكلير ج 1 ص 9).

وأول طبيب عربي هو أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي (1) الذي ألف ما يناهز مائتي كتاب ترجمت جميعها إلى اللاتينية منها كتابان في (أمراض الأطفال) و(تجارب المارستان) وهو أول من استعمل الفئائل والأنابيب في العمليات الجراحية أعقبها وضع الأواني الزجاجية لاحتواء السوائل الملونة ويعتبر (لوكلير ج 1 ص 470) كتاب القانون لابن سينا والحاوي للرازي وكتاب علي بن عباس أعظم الموسوعات الطبية التي أنتجها العرب ويوجد قرار جامعي مؤرخ ب 1617 يدل على أن هذه الكتب كانت أساس التعليم الطبي في جامعة لوفان Louvain في القرن السابع عشر كما كان (ابن سينا) أساس الدراسات في جامعات أوروبا طوال ستة قرون (كوتبي – أعراف المسلمين وعاداتهم ص 245) وقد قرر المجتمع الطبي الأولوية لجالينوس وابن سينا عام 1340 م وفي عام 1500 م حكموا بالسبق لابن سينا في خمس محاضرات من أصل عشر ولجالينوس في أربع ولإبقراط في واحدة (كازيوط المستشفيات عدد مارس 1932) وأول امتحان أجري في صناعة الطب كان (عام 295 هـ) وبلغ عدد المتخرجين في بغداد (عام 319 هـ) ثمانمائة وستين رجلاً (القفطي ص 130) كما أن أول امتحان أجري للصيدلة كان (عام 221 هـ) وكان الأطباء يؤدون قسم المهنة (2) وتوفرت من بينهم في بغداد أعداد متخصصة للسجون وأخرى تطوف في البادية مع خزانة من الأشربة والأدوية (القفطي ص 132) وقد عرفت القاهرة في القرن الرابع الهجري أربعين خزانة في قصر الخلافة الفاطمية جمعت إحداها مائة ألف مجلد ستة آلاف وخمسمائة في الطب والفلك وكان في المارستان العضدي أربعة وعشرون طبيباً من ذوي الاختصاص تسهر على مقاومة الأمراض في مختلف طبقات المجتمع بأساليب وقائية منها حسن التغذية وتناسب الملابس مع الفصول والطهارة مما أدى إلى توفير الحمامات التي بلغ عددها بضعة آلاف في بغداد منذ القرن الثالث الهجري وفي القاهرة (3) (ثمانين) فقط في القرن السابع وبالفسطاط أكثر من ألف حمام. أما في الأندلس فقد كان القرن الرابع الهجري أنصع القرون (لوكلير ج 2 ص 350) برز خلالها ابن جلجل كأعظم طبيب طبائعي حيث عرب مفردات (ديسقوريدس) وزاد عليها الأدوية المعروفة عند العرب (ماسينيون – ميلانج ج 2 ص 93) وكتب تاريخاً للأطباء والحكماء الذين ظهروا قبله بالأندلس ومنهم الوليد المدحجي الذي دخل الأندلس مع عبد الرحمن بن معاوية وقد تعرف المغرب الأقصى إلى بعضهم كإسحاق ابن عمران الذي أدخل الطب إلى المغرب وأحمد بن إبراهيم المعروف بابن الجزار (المتوفى عام 395 هـ/ 1004م) صاحب (زاد المسافر وقوت الحاضر) الذي يوجد الجزء الأول منه في المكتبة الوطنية بالرباط.

(1) وبه سمي مستشفى سلا (الغازي بدل الرازي)

(2) أورد نصه عبد الرحمن الشيرازي في كتابه (المخطوط) " نهاية الرتبة في طلب الحسبة " حيث كان المحتسب المشرف على مختلف الهيئات الاجتماعية يحلف الأطباء أن لا يعطوا أحداً دواءً مرا ولا يركبوا له سما ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة ولا للرجال الذي يقطع النسل مع الغض عن المحارم وعن إفشاء الأسرار والتوفر على جميع الآلات

(3) " عدة الملمات في تعداد الحمامات " ليوسف عبد الهادي (القرن العاشر)

وكان بقرطبة في هذه الفترة أطباء منهم حسداي و أبو عثمان الجرار ومحمد بن سعيد وأبو عبدالله الصقلي (الذي كان يتكلم بالإغريقية) وعبدالرحمن بن هيثم ومحمد بن عبدون القرطبي الذي دخل مصر والبصرة ودير مارستان مصر ثم عاد إلى الأندلس (عام 360 هـ) (نفح الطيب، ج 1 ص 444). ولكن أبرز طبيب عربي ظهر الأندلس في القرن الرابع هو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي صاحب كتاب (التعريف لمن عجز عن التأليف) الذي يعتبر اللبنة الأولى في الجراحة حيث كان كما يقول (لوكليز - ج 1 ص 334) أعظم ممثل لعلم الجراحة في المدرسة العربية (4) وقد توفي (عام 404 هـ / 1013 م) حسب ليون الإفريقي وقبل (عام 500 هـ) حسب المؤرخين الأسبان. ومما امتاز به علم الطب آنذاك ظهور الوزير أبي المطرف عبد الرحمن بن شهيد الذي كان آية في الطب والذي كان لا يرى التداوي بالأدوية بل ما أمكن بالأغذية (نفح الطيب للمقري ج 2 ص 874).

أما المستشفيات الأندلسية فلا يعرف منها إلا مستشفى الجزيرة الخضراء (لوكليز ج 1 ص 571) وإن كان العالم الأمريكي (فكتور روبنسون) يزعم أنه كان بطليطلة وحدها ما يزيد على أربعمئة مستشفى وفي ذلك كثير من المغالاة.

وقد لاحظ لوكليز (ج 1 ص 407) أن المغرب كان في هذه الفترة أشد أقطار الإسلام عمقا من الناحية العلمية وفي هذا أيضا شيء غير قليل من المغالاة وكذلك ما ذكره الكانوني الأسفي في كتابه (شهورات المغرب) من وجود مدرسة طبية بفاس أيام كان المغرب خاضعا لأموبي الأندلس. وهنا تدخل المغرب الأقصى في عهد المرابطين والموحدين طوال القرنين الخامس والسادس الهجريين حيث لم يسبق للفكر أن تحرر - كما يؤكد لوكليز ج 2 ص 72 - كما وقع في هذا العصر وشهد بذلك نبوغ أمثال ابن طفيل وابن باجة وابن رشد وبني زهر وأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني و أبي جعفر الغافقي.

وبفضل الانبعاث العربي في الأندلس صارت أوربا تنفض عنها أودية الركود وأصبح المسيحيون يتوافدون على طليطلة للارتشاف من معين العلم وقد استتجد (ريموند) أسقف المدينة بعلماء العرب لعلاج الفقر اللاتيني وإذ ذاك بدأت ترجمة مصنفات العرب العلمية ثم ورد (جيرار دوكريمون) على طليطلة حيث استقر نحو من نصف قرن نقل خلالها من العربية إلى اللاتينية ستة وسبعين كتابا عربيا أو إفريقيًا مغربا وكانت حركة الترجمة بالشمال الإفريقي قد بدأت منذ القرن الرابع حيث أسس قسطنطين التونسي الصقلي مدرسة ساليرنة وهي أول مدرسة من نوعها في أوربا وهو الذي ترجم إلى اللاتينية (زاد المسافر) وكتب الرازي وألف نحو من أربعة وعشرين كتابا في الطب منها (قانون الطب) في اثني عشر مجلدا وفياتيكوم في الطب العام في سبعة أجزاء.

ولكن لم يكد يمضي العقد الأول من القرن السابع أي بعد (غزوة العقاب) التي انهزم فيها الموحدون (عام 609 هـ) حتى بدأ صرح العلم بنهار - كما يقول ابن عذارى (البيان ج 4 ص 240) - وقد أكد (الدكتور رينو) أن المغرب لم يرق على وجه العموم بدور يذكر في العصر الذي كان الطب وبقية العلوم يتألق نورها في سوريا والعراق ومصر وحتى في إسبانيا المجاورة حتى امتزج تاريخ الأندلس بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين والموحدين فأصبح " من حق المغرب أن يتبنى ابن باجة وابن طفيل وابن رشد " (الطب القديم بالمغرب - نشرة معهد الدراسات المغربية العليا عدد 1 ص 72).

ويظهر أن أبا العلاء زهر بن زهر هو أول طبيب أندلسي ورد على المغرب بعد استيلاء المرابطين على الأندلس وقد كان طبيبا خاصا ليوسف بن تاشفين بعد أن كان طبيب المعتمد بن عباد باشبيلية و

(4) هو أول من ربط الشرايين ووصف عملية تفتيت حصاة المثانة واستخرجها بعملية جراحية وعالج الشلل وكان يدرج بإزاء النصوص صور الآلات التي يوجد منها بالمكتبة الوطنية بالرباط (عدد 1427) صور لحداثد الكي تختلف حسب العضو المريض وقد طبع الكتاب بالهند مع صورة وتصوير الآلات عرف عند أطباء جراحيين آخرين مثل علي بن عيسى الموصلي في الكتاب الذي صنفه (عام 592 هـ) بعنوان (تذكرة الكحالين) يحتوي على دوائر ورسوم للعين وكذلك حنين بن إسحاق في كتابه (علل العيون وعلاجها) مع صور للعين ملونة وقد ترجم هذا الكتاب للألمانية الأستاذ (مايرهوف) الكحال الشهير

والده هو أبو العلاء أبو مروان عبد الملك بن أبي بكر الذي تولى رئاسة الطب ببغداد و ثم بمصر ثم بالقيروان (النفح - ج 1 ص 445) وقد تمخضت تجارب أبي العلاء في المغرب عن تأليفه لكتاب (التذكرة) الذي ترجمه وطبعه كولان عام 1911 بباريس وهو خاص بالأمراض الغالبة في مراكش مع الأدوية المناسبة لها وقد جمعت في (المجربات) عام (526 هـ) (يوجد المخطوط بالأسكوريال رقم 844) وهناك تجارب أخرى كانت مراكش مركزا لها وهي (رسالة في أمراض الكلى كتبها أبو العلاء للخليفة علي بن يوسف) (توجد ترجمتها باللاتينية التي نشرت عام 1897م). وكذلك مخطوط حول (الخواص) بمكتبة بباريس استقى منه (ابن البيطار) (خواص لحوم الحيوانات) و(جامع أسرار الطب) (نسخة في المكتبة الوطنية بالرباط تحتوي على 185 ورقة). وكان أبو العلاء يعالج بجس النبض والنظر إلى قوارير البول. أما أبو مروان عبد الملك بن زهر فقد ألف كتاب (الاقتصاد) (يوجد مخطوطه بباريس رقم 2959 و نسخة بالأسكوريال محررة بالعربية ومكتوبة بحروف عبرانية) ويذكرون أن ابن زهر هذا أعظم من ابن سينا ولا يعدله سوى الرازي في الشرق وقد نقد في كتابه هذا أطباء عصره الذين لم يكونوا يحصون حالة مرضاهم قبل أن يصفوا لهم دواء من الأدوية.

وله أيضا كتاب (التيسير) ألفه بطلب من ابن رشد كتذييل لكتابه الكليات Colliget وقد نقل ابن عبد الملك في (الذيل والتكملة) أن ابن رشد كان يفضل ابن زهر على غيره من أهل عصره وقد نهج ابن زهر في كتابه أسلوبا جديدا في الحكمة القياسية مستخدما التمهيد العقلي للوصول إلى أحسن النتائج فاستطاع بفضل قياساته الطبية وتجربته الشخصية إلى الكشف عن أمراض جديدة لم تدرس قبله فقد اهتم بالأمراض الرئوية واختص في أدواء الجهاز الهضمي واكتشف طفيلية الجراب وسماها صؤابة الجرب كما " بسط طرق العلاج القديمة وأوضح أن الطبيعة إذا اعتبرناها قوة داخلية تدبر شأن الجهاز البشري تكفي وحدها في الغالب لعلاج الأمراض (حضارة العرب - كوستاف لوبون - الطبعة الفرنسية ص 530) وقد أبرز كودارد Godard (تاريخ ووصف المغرب ص 452) ما امتاز به ابن زهر من عبقرية فذة تطورت بفضلها شعب ثلاث حاول توحيدها وهي الصيدلة والجراحة والطب العام.

والحفيد أبوبكر بن أبي مروان طبيب خدم الدولتين الممتونية والموحدية (توفي عام 59 هـ بمراكش) دس إليه ابن يوجان وزير المنصور السم هو وابنة أخته وكانت هي وأمها عالمتين بالطب لاسيما في أمراض النساء (ابن أبي أصيبعة ص 67) وكان أبوبكر هذا شاعرا يحفظ صحيح البخاري بأسانيده (الأنيس المطرب ج 2 ص 180) ولم يكن في زمانه أعلم منه باللغة يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب (المطرب لابن دحية)

أما ابن الصائغ المعروف بابن باجة فهو أبوبكر محمد بن يحيى شيخ ابن رشد توفي بفاس (ابن أبي أصيبعة ج 2 ص 63) استوزره أبوبكر يحيى ابن تاشفين مدة عشرين سنة مات مسموما عام 533 هـ القفطي ص 265) ولم يصلنا شيء من المؤلفات الطبية المنسوبة لابن باجة ومن تلامذته سفيان الأندلسي (المتوفى عام 537 هـ) الذي تعاون مع شيخه في تأليف " كتاب التجربتين " (لوكلير ج 2 ص 79).

ومن شيوخ ابن رشد أيضا أبو جعفر بن هارون الترغالي تلميذ المعافري في علوم الحديث كان عالما بصناعة الكحالة أي الكحل طب العيون (ابن أبي أصيبعة ج 2 ص 15) ورغم وجود هؤلاء الأطباء في المغرب فإن الحاجة كانت تمس أحيانا للاستعانة بأطباء من الأندلس حيث لاحظ ابن عذاري (البيان المغرب ج 4 ص 49) أن أبا يعقوب يوسف الموحي اعتل عام 573 هـ فوفد عليه أطباء من الأندلس للمعالجة.

وذكر صاحب (الأنيس المطرب ج 2 ص 176) من أطباء يوسف بن عبد المومن الوزير أبا مروان عبد الملك بن قاسم القرطبي زيادة على ابن طفيل وابن رشد وابن زهر. فابن رشد أبو الوليد قد تميز في الطب وله كتاب (الكليات) الذي ترجم إلى اللاتينية وهو أول من وصف الدورة الدموية الكبرى قبل وليام هارفي William Harvey (5).

(5) راجع كتاب إيرنيست رونان (Ernest Renan Averroès et l'averroïsme) وكتاب (ابن النفيس المصري) الذي اكتشف الدورة الدموية الصغرى أو الرئوية قبل الغربيين بثلاث قرون (نشرة المعهد المصري ج 26 عام 1934 - بحث ماكس ماير هوف ص 33) وقد أشار ابن النفيس إلى ذلك في (الكتاب الشامل في الطب) الذي يحتوي على ثلاثمائة مجلد.

ولابن رشد (تلخيص كتاب العلل والأمراض والتصرف والحميات والأدوية المفردة وحيلة البرء) وقد اقترح في شرحه لابن سينا ما يصفه الأطباء اليوم وهو تبديل الهواء في الأمراض الرئوية وقد أشار إلى جزيرة العرب وبلاد النوبة كمراكز شتوية (حضارة العرب كوستاف لوبون ص 531 – الطبعة الفرنسية) وهناك أطباء آخرون حفل بهم هذا العصر في العدوتين بإشراف عاصمة الحمراء منهم :

- يوسف بن موراطير طبيب المنصور والناصر (رافقه إلى تونس) والمستنصر
- عبد الملك بن قبال الغرناطي طبيب المنصور والناصر
- إبراهيم الداني كان أمين البيمارستان وطيبه بمراكش حيث توفي في أيام المنتصر
- أبو يحيى بن قاسم الإشبيلي صاحب خزانة الأشربة والمعاجين المتوفى بمراكش أيام المستنصر خلفه ولده على الخزانة (طبقات الأطباء ص 79)
- أحمد بن حسان الغرناطي طبيب المنصور وهو الذي رافق ابن جبير في رحلته ودفن بفاس وقد ألف للمنصور (كتاب تدبير الصحة) وكان ولده أبو العلاء طبيبا للمستنصر
- أبو محمد الشذوني الإشبيلي تلميذ عبد الملك بن زهر كان جيد العلاج وطبيب الناصر.
- أبو الحسين بن أسدون الملقب بالمصدوم تلميذ عبد الملك بن زهر كان شاعرا طبيبا للمنصور (ص 79) وهو شيخ عبدالعزيز بن مسلمة الباجي المعروف بابن الحفيد شاعر وطبيب المستنصر.
- أبو جعفر بن الغزال طبيب المنصور وعمدته في تركيب الأدوية والمعاجين.
- أبوبكر بن القاضي بن الحسن الزهري تلميذ ابن رشد كان يطيب الناس من دون أجره
- محمد الندرومي الكومي ولد (عام 580 هـ) طبيب الناصر والمستنصر هو الذي اختصر المستنصر للغزالي وتعلم لابن رشد وابن موراطير
- أبو إسحاق بن الحجر كبير أطباء الرشيد الموحي
- والسلسلة طويلة كان المغرب مقرا لها بمراكش وميدانا لمختبراتها ومختلف أنشطتها في الكشف الطبية ووسائل العلاج ذكر منهم ابن أبي أصيبعة في طبقاته (ص 81) أحمد بن سابق وابن الجلاء وابن طملوس وأبا جعفر الذهبي (المتوفى عام 600 هـ عند غزو أفريقية) كما ذكر صاحب الذيل والتكملة عليا بن أحمد الشلطي الشاعر المتوفى بمراكش (عام 565 هـ أو 566 هـ).
- وقد عرفت عاصمة فاس ومدن أخرى ثلة من كبار أطباء العدوتين منهم :
- أحمد بن مضا اللخمي الذي لقي عياضا بسبته (الديباج لابن فرحون ص 65)
- إبراهيم بن صواف الحجري الذي تصدى للعلاج بطنجة واستقر آخر عمره بفاس (توفي عام 506 هـ) (الجدوة ص 86)
- أحمد بن عبد الله بن موسى القيسي الذي سكن فاسا وتوفي بها (عام 571 هـ) (الجدوة ص 70) وهو تلميذ أبي بكر بن العربي المعافري
- علي بن عتيق الخزرجي نزيل فاس شاعر طبيب (الذيل والتكملة) (توفي عام 598 هـ) (الجدوة ص 306)
- هاني بن الحسن اللخمي الغرناطي تلميذ ابن فرتون بفاس توفي (عام 614 هـ) كانت له مشاركة في الطب والحديث والأصول (الجدوة ص 335)
- محمد بن قاسم الأنصاري الجباني سكن سبتة وفاس (الجدوة ص 192)
- ومن الأسر التي اشتهرت بالبراعة في الطب الكراميون السملاليون (كما في بشارة الزائرين لداود الكرامي) والدانسيون المختصون في أمراض العيون) وبنو افلاطون الذين أشار إليهم (ابن الزيات التادلي في التشوف إلى رجال التصوف ص 130). وقد صنف الكتاب (عام 617 هـ) وجدد طبعه في الرباط (وزارة الأوقاف)
- ومن الأطباء المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق :
- ابن يقظان السبتي الطبيب الشاعر الذي توجه إلى مصر (عام 544 هـ) ثم إلى اليمن والعراق (الفقظي ص 160)
- ابن سمعون يوسف السبتي نزيل حلب وطبيب أهل فاس
- عبيد الله بن المظفر الباهلي المعروف بالمغربي من أهل المرية

كان طبيب المارستان في معسكر السلطان السلجوقي سكن دمشق (نفح الطيب للمقري ج 1 ص 391) وقد ورد في (النفح ج 2 ص 655) أن هذا السلطان هو محمد بن شاه وأن هذا المارستان كان ينقل على أربعين جملا (وقد توفي عام 549 هـ) ويدل هذا الانتقال على اهتمام الأطباء بطبقات الشعب المنتشرة في الفياقي البعيدة من الحواضر.

وممن عاش أيضا في دمشق حيث كانت له عيادة الطبيب عمر بن علي القلعي الذي كتب ملاحظات على كتب ابن سينا وقد ولد في المغرب (توفي عام 576 هـ) (لوكلير ج 2 ص 40).

أما بغداد فقد عرفت محمد الغساني الجلياني طبيب المدرسة النظامية الذي سكن كلا من القاهرة ودمشق كان يلقب بحكيم الزمان (وكان طبيب صلاح الدين الأيوبي) (النفح ج 3 ص 645).

أما موسى بن ميمون القرطبي اليهودي فقد انجذب إلى فاس عاصمة الفكر وأثينة إفريقية عام 1160م حيث مكث خمس سنوات ينهل من معين العلوم الطبية والكلامية قبل أن ينتقل إلى عكرة ومصر.

وقد وجد مات الأطباء من الأندلسيين والمغاربة في المغرب الأقصى ومختلف حواضره منتديات ومختبرات تفتت فيها عبقريتهم وخاصة في المستشفيات ومنها (دار الفرج) التي أنشأها أبو يوسف الموحي بمراكش وقد وصف صاحب (الاستبصار في عجائب الأمصار) ما عاينه فيها من منازل ومياه ورياحين وأطعمة وأشربة للمرضى وقد وصف كل ذلك عبد الواحد المراكشي في (المعجب) مشيرا إلى ما حفلت به من أدوية وصيدليات وأخصائيين في مختلف الشعب الطبية مما أكده ميبى Millet في كتابه (الموحدون - طبعة 1923 ص 129) حيث لاحظ (أن هذا المستشفى لا يخلف وراءه مصحات أوروبا المسيحية فحسب بل تخجل منه حتى اليوم) (وهو تاريخ صدور الكتاب)

مستشفيات باريس ولا بدع إذا كان مستشفى الموحيين بهذه المثابة بالنسبة لأوروبا فقد لاحظ (ولتر) في (مختصر التاريخ) ازدهار علم الطب والتداوي عند العرب يوم كان الأوروبيون يجهلون هذا العلم ويحتقرون أربابه إذ كانت الكنيسة قد حرمتها وحصرت التداوي في زيارة الكنائس والاستشفاء بذخائر القديسين والتعاويد والرقى التي كان يبيعها رجال الدين إلى أن قال " وكان الأوروبيون يستنكفون من النظافة لأنها تشبه الوضوء عند المسلمين".

وكان الأوروبيون يضطرون إلى اللجوء للمستشفيات العربية فهذا الملك شانجة توجه إلى قرطبة من أجل العلاج من مرض الاستسقاء (لوكلير ج 2 ص 351).

ثم جاء العصر المريني و الوطاسي الذي امتد ثلاثة قرون (من 637 هـ إلى 961 هـ) تغلب المغرب خلالها في شتى التطورات من الازدهار إلى الانهيار ولعل لغياب العنصر الأندلسي في هذه الفترة أثره في تدهور الفكر العلمي بالمغرب الأقصى لاسيما وأن البلاد عانت الشدائد في مجابهة الاستعمار الأيبيري ولعل من نتائج هذا الغياب الأندلسي شعور بني مرين بضرورة الاعتماد على النفس فشيّدوا لأول مرة في تاريخ المغرب مدارس ومعاهد خاصة بفاس كمدرسة الحلفائيين (الصفارين) (عام 670 هـ) ومدرسة العطارين ومدرسة المدينة البيضاء أو فاس الجديد (6) ومدرسة الصهرج ثم مدرسة الوادي ومصباح.

ثم توالى إنشاء المعاهد في المغرب الأوسط فكان لكل حاضرة مدرستها فازدهرت المصحات والمارستانات العلمية المختبرية نسبيا وربما اختلط بهذا الصنف من المارستانات العلمية المختبرية صنف آخر للغرباء والمجانين ومهما كانت المكانة العلمية لهذه المؤسسات الاجتماعية فلم تكد تخلو أية مدينة من مارستان حتى ذكر (مارمول) أن شالة نفسها كان بها مستشفى (وصف إفريقيا -

باريس 1667 ج 2 ص 24) ومع ذلك فقد ظهرت اتجاهات جديدة في العلاج الروحي حيث كان مستشفى سيدي فرج بفاس يعالج الأمراض بالموسيقى وقد أشار إلى ذلك صاحب (كنوز الصحة ويواقيت المنحة ص 72) ملاحظا أن كثيرا من المرضى شفي بذلك لاسيما بعض المجانين فكانت هذه الظاهرة انطلاقة لاستحالة المستشفيات الكلاسيكية العادية إلى ملاجئ للمجانين.

وقد تقلصت لائحة الأطباء بالمغرب الأقصى وحتى في إفريقية والقيروان في عهد الحفصيين خلال القرن السابع الهجري (لوكلير ج 2 ص 252) فلم تعرف هذه المناطق سوى أعداد محدودة علما

(6) ذكر الفريد بيل A. Bill في بحثه حول الكتابات العربية بفاس (الجريدة الأسبوعية عام 1917 ج 10 ص 152) أن هذه المدرسة سميت عام 1844 بمدرسة المهندسين لأن السلطان أدرج في برامجها إذ ذاك دراسة العلوم.

وجدوى منهم الطبيب التونسي محمد القوبع الذي درس في دمشق وتوفي عام 738 هـ (نيل الابتهاج ص 228) ولم يعد الطب حكرا على المختصين بل شارك علماء عاديون ومحدثون وأدباء في هذا المجال فلم يخل نشاطهم من مهارة ولكن بدون تجديد بل ولا حتى مساهمة للفكر العلمي حيث أكد ابن خلدون أنه لم يشاهد في المائة الثامنة من سلك طريق النظار بفاس لأجل انقطاع ملكة التعليم منهم (نشر المثاني ج 2 ص 97) ولكن المراكشي صاحب (المعجب) (ص 220) تحدث عن فاس بعد ظهور المرينيين (620 هـ) فوصفها بأنها حاضرة المغرب وموضع العلم منه ومهبط علماء قرطبة والقيروان. والظاهر أنه " منذ اندراس أعلام التدريس في قرطبة والقيروان لم يكن لفاس ولا لباقي المغرب أي نظام مقبول في التعليم " (كما يقول لوكليز (ج 1 ص 675).

وليس معنى هذا انقطاع تدريس الطب فقد أكد (رينو) أن علم الطب كان يدرس في جامعة القرويين بواسطة كتب إبقراط وجالينوس وديجنوس المعربة إلا أن كتب خزانة القرويين اندرس بعضها على يد الأسبان (عام 1161 م) ولم تعد تدرس العلوم والطب رسميا اللهم إلا ما كان من دروس يلقاها أطباء في جوامع العاصمة وفي بعض زوايا المدن الأخرى وقد ازدهر في هذا الإبان بالمشرق نوع من الاختصاص في المستشفيات مثل وجود مارستانات بدمشق مشتملة على أجنحة للكحالة (طب العيون) على أن الحسن بن محمد الوزان (وهو المعروف بليون الإفريقي) لاحظ أن الشريف الإدريسي السبتي ترك عدة أولاد يعيش عقبتهم في تونس وفاس حيث يظهر من بينهم أطباء من جملتهم أحمد بن عبد السلام الصقلي الذي ألف كتابا في الطب (توجد نسخة منه في مكتبة ليد (لوكليز ج 2 ص 70).

ومرت مع ذلك فترة عصبية في الشرق تقلصت فيها الفلسفة والفنون والتعاليم بسبب غارات المغول الذين ما لبثوا أن اعتنوا بالعلماء بعد إسلامهم بفضل جهود الطبيب قطب الدين الشيرازي تلميذ الفخر الرازي . وهنا ورث بنو الأحمر حضارة العرب في أوروبا المسلمة وأصبحت غرناطة التي ظلت تابعة لبني مرين ملجأ العلم والفن إلى سقوطها في يد الأسبان (عام 886 هـ) وتأزمت الحالة في المغرب بعد نكبة أبي الحسن المريني في إفريقية وطريف بالأندلس وتوالت الأزمات الاقتصادية والأوبئة التي جرفت بالعالم أجمع في ذلك العصر وكابد المغاربة من جرائها المرائر فانتشر الفقر والمرض نظرا لما نزل بالعمران شرقا وغربا - حسب ابن خلدون - في منتصف المائة الثامنة من الطاعون الجارف (الاستقصا ج 3 ص 144) وقد تحدث ابن الخطيب عما سماه بالطاعون الأسود الأكبر الذي هلك فيه حسب بعض المؤرخين ثلث سكان المعمور وقد ألف بعض الأطباء المغاربة مؤلفات في علل هذا الداء وطرق علاجه (الطب القديم بالمغرب - رينو ص 47) وقد أدى هذا الاضطراب إلى سقوط المراكز المهمة بالمغرب تدريجيا في قبضة البرتغال الذي استمر احتلاله لها أزيد من ثلاثة قرون وبهذا الاحتلال طويت صفحة في شمال المغرب على إثر سقوط سبتة التي ازدهر فيها الطب ومختلف العلوم وظهرت مصنفات قيمة منها " بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب ".

ووقع مثل ذلك في الشرق حيث تحدث ابن بطوطة عن المدرسة النظامية ببغداد التي اندرس أساتذتها وطلبتها ولم يسجل في هذه الفترة عدا نحو الأربعين عالما نصفهم من الأندلس لا يوجد بينهم طبيب مشهور لقلة الطرافة والاكتفاء بالجمع والتأليف (لوكليز ج 2 ص 258) وقد عرف المغرب في العصر المريني مع ذلك أطباء منهم :

- أبو العباس الشريشي السلوي الأصل المتوفى بالفيوم بمصر (عام 641 هـ) (الإعلام لعباس المراكشي ج 1 ص 351).

- محمد بن أحمد بن خليل السكوني الذي صنف كتابا في الطب والصيدلة (الذيل والتكملة) وهو أشبيلي أقام بمراكش (الإعلام ج 3 ص 145)

- أحمد بن علي الملياني المراكشي الكاتب الشاعر الطبيب (ت 715 هـ)

(7) ولكن ورد في (مدن المغرب وقبائله المتعلق بالرباط وناحيته) (ج 1 ص 32 و 225) أن البوعنانية بسلا كانت مدرسة للطب ونقل ذلك عن الاستقصا للناصري ولكن الناصري لم يتعرض لهذا عندما أشار إلى هذه المدرسة (ج 2 ص 151) كما أشار نفس المصدر إلى عمر بن عربية أستاذ الطب في العهد العلوي.

- ابن البنا الأزدي المراكشي (المتوفى عام 721 هـ - الجذوة ص 72) وقد أخذ الطب عن الحكيم المعروف بالمريخ (الجزوة ص 76)
- أحمد الجذامي الطبيب نشأ في سبتة وتوفي بمراكش (عام 650 هـ)
- أبو جمعة الجرائحي
- وكان بمدرسة الظاهرية بمصر أبو الطاهر إسماعيل السوسي الذي قال عنه (العبدري في رحلته بأنه ما رأى أحفظ منه للطب ولا أحسن تصرفاً ولا أذكر لنصوص كتب ابقراط (ولا أعلم هل هو من سوس المغربية أم سوسة التونسية أم سوس الأهواز العراقية).
- على أن المغرب انفرد في عصر السعديين بوباء عظيم (عام 965 هـ) كسا السهول والجبال وأفنى الكماة والأبطال ودام سنة كاملة (الاستقصا ج 3 ص 41) كما تجدد الطاعون بمراكش وغيرها (عام 1006 هـ) واستطال (الاستقصا ص 97)

وممن نبغ في هذا العصر (سقين القصري) الفاسي المشارك في الأدب والتصوف والطب كان يقرئ (ألفية ابن سينا) (توفي عام 956 هـ حسب النيل ص 153) وكذلك أبو القاسم الوزير الغساني شارح حميات ابن عزرون (8) والذي صنف كتاباً في الأعشاب (ولد عام 960 هـ) (درة الحجال ص 466) وكانت له مهارة في الطب برزت في كتابه (حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب والعقار) (نشر المثاني للقادري ج 2 ص 125 (9) وقد أكد (الدكتور رينو) في (نشرة معهد الدراسات المغربية العليا) ج 18 ص 195) أن هذا الكتاب يمتاز بمنهاجه الواضح جداً في الوصف النباتي مع معلومات ثمينة حول معظم المواد الصيدلانية بفاس فكانت محاولة مفيدة لترتيب ثلاثي يدخل عنصراً جديداً في وصف أعشاب المدرسة الصيدلانية الشرقية وهناك أطباء آخرون منهم الحكيم الماهر محمد الطيب طبيب المنصور الذهبي (نزهة الحادي - طبعة هوداس ص 146) ومحمد الأندلسي نزيل مراكش المشارك في الكيمياء والرياضيات والطب والهيئة والطبيعة (قتل عام 980 هـ) (الإعلام ج 4 ص 318) وأحمد بن عبد الحميد المعروف بالمرید المراكشي كان إماماً في جميع الفنون حكيم ماهر في الطب (توفي عام 1048 هـ) حسب (الإعلام ج 2 ص 114)

والواقع أن علم الطب لم يعد يخلو من تدهور فأصبح الطب التقليدي يجري إلى جانب الطب التجريبي المواكب لتجارب العجائز

ولم تعد للناس ثقة كاملة فأصبح للأطباء الغربيين دور في المغرب حيث جلب عبد الملك الغازي الطبيب الفرنسي (كيوم بيرار) G. Berard رغم ثقافته العلمية المتواضعة (رينو - ج 18 ص 206) على أن بعض الأطباء الغربيين ولدوا بالمغرب مثل (كريستوف داكوسيطا) وليد سبتة والذي جال في آسيا عام 1578 (كودار ص 495) ثم صارت أوربا تعين بين قناصلتها أطباء مثل (دوليل) قنصل ملك فرنسا (هنري الرابع) وطبيب البلاط الذي عوضه الطبيب (هوبير) أستاذ اللغة بباريس (كودار ص 499) وأشار (رينو ص 56) إلى الطبيب الأسباني (اندرياس كاميلو) الذي كان يعالج مولاي عبد الملك السعدي واستقر بالمغرب.

ولعل الاضطرابات كان لها دور مع قلة الأطباء المهرة في انتشار الأمراض التي أشار إليها الحسن الوزان ملاحظاً أن الطاعون كان يظهر دورياً في القرن العاشر الهجري مرة في كل عشر سنوات إلى خمس وعشرين سنة وأن عشر سكان المغرب كانوا مصابين بما يعرف بالداء الأسباني أو الداء الفرنسي الذي نقله اليهود من الأندلس إلى المغرب وهو المعروف بمرض الدنيا أو المرض الكبير أو مرض النساء (الزهري أو النوار) وذلك بالإضافة إلى أمراض أخرى بدأت تترى على ساكنة المغرب كداء المفاصل والجرب والقرع وتضخم الغدة الدرقية (غدة العنق) وداء الجذام الوراثي في أخصاص المداشر والدواوير (10) وداء الغبابة الناتج عن نقص في البنية وخاصة في الريف حيث ينتشر الفقر ويكثر الماء الممزوج بالجبر وقد أصبح المغرب يعاني حتى اليوم من أثر ما طرأ على المياه من تلوث لأسباب حضارية جارفة.

(8) توجد في المكتبة الوطنية بالرباط نسخة من "الروض المكنون في شرح رجز ابن عزرون" (في 130 ورقة) ونسخة أخرى في مكتبة الفرع الاجتماعي بطنجة بخط المؤلف كتبها لخزانة الأمير محمد الشيخ المامون وهي مؤرخة بـ 999 هـ.

(9) توجد نسخة من (حديقة الأزهار) في المكتبة الوطنية بالرباط في 31 ورقة.

(10) المغرب في السنوات الأولى للقرن السادس عشر بقلم ماسينيون (ص 79)

ويلاحظ (رينو) أنه في المدة المتراوحة بين 867 هـ و 1325 هـ أي طوال أربعة قرون ونصف قرن طرأت المجاعة بالمغرب ست عشرة مرة ولا تتحدث المصادر التاريخية عن ثلاثة القرون التالية ومنذ ذلك لم يقع القحط (أو المجاعة) بالمغرب سوى ثماني مرات أي معدل خمس وثلاثين سنة تقريبا (ص 76) ولم يعرف المغرب نوعا آخر من الأوبئة مثل ما عرف بالموت الأسود الذي هجم من الصين على الهند وروسيا وأوربا (من عام 1334 إلى 1350 م) .

وقد نصح المنصور السعدي ولده في رسالة وجهها إليه باستعمال الدواء إبان الطاعون الذي طرأ في عهده في وصفات تدل على براعة المنصور في الطب ومن جملة ما أوصاه به عدم فتح الرسائل إلا بعد غمسها في الخل القوي ثم تنشيفها وهذا يدل (كما يقول رينو ص 79) . على أن المغرب كان يعرف إذ ذاك أن عزل المرضى أصلح وسيلة لدرء المرض.

وكان المغاربة يفرقون بين الطاعون والوباء فالفرق بينهما كما يقول محمد بن أبي العاص الأندلسي صاحب (الرسالة في تحقيق الوباء) أن الطاعون مصحوب بذبيلة أي عقدة عصبية ملتهبة في حين أن الوباء قد لا يتمخض عن أي التهاب من هذا النوع ولكن كلاهما قاتل. وبالرغم من انخفاض المستوى الاجتماعي العالم كانت الوفيات قليلة إذا استثنينا الظروف الخاصة حيث ذكر الحسن الوزان أن في مجموع بلاد البربر بلغ معدل العمر ما بين 65 و 70 سنة ويرتفع هذا المعدل أحيانا إلى 80 بل 100 سنة في المغرب بينما ينخفض إلى 60 سنة في ليبيا وأقل من ذلك في السودان (ماسينيون ص 83)

أما المستشفيات فقد استمرت في إطارها القديم وأضيف إليها (عام 980 هـ) (حسب اليفرنى) المارستان الذي أنشأه السلطان الغالب بالله بمراكش والذي استحال بعد ذلك إلى سجن للنساء (الاستقصا ج 3 ص 18) على أن السعديين بنوا للأسارى المسيحيين – حسب رواية السفير الإنجليزي (إدمون هوكان) – مستشفى قرب أحد جوامع مراكش ولكن الرهبان الأسبان اضطروا في منتصف القرن الرابع عشر إلى تأسيس مستشفيات بفاس ومكناس وسلا و تطوان كانوا يعالجون فيها النصارى والمغاربة معا (رينو ص 27). وقد حكى لنا الحسن الوزان عن توليه خطة العدالة في مارستان المجانين بفاس حيث قضى أربع سنوات (ماسينيون ص 43) وكان الجذمي يعيشون في الكهوف القريبة من فاس (جذوة الاقتباس ص 17) وكانت في أرباض كثير من المدن (حارات) للجذمي.

أما في العهد العلوي فبالرغم عما استظهره (رينو) من أن التعليم الرسمي للطب والعلوم اندرس بجامعة القرويين أواخر القرن التاسع عشر (الطب القديم بالمغرب ص 77) فإن (دلفان) Delphin أشار في كتابه حول فاس وجامعتها (المطبوع عام 1889) إلى اعتناء الطلبة بجملة من الكتب الطبية مثل الكامل للرازي والقانون والمنظومة لابن سينا وزبدة الطب للجرجاني والتذكرة للسويدي وتذكرة الأنطاكي وكليات ابن رشد ومفردات ابن البيطار وكشف الرموز لابن حمادوش الجزائري صاحب (كشف الرموز في العقاقير والأعشاب) (المرتبة على الحروف والمحتوية على نحو ألف عشبة وهو أيضا صاحب (تعديل المزاج بحسب قوانين العلاج) في الطب النفساني).

وقد تضاربت آراء المستشرقين في تاريخ الطب بالمغرب فهذا أركمان يؤكد في كتابه (المغرب الحديث – طبعه عام 1885 م ص 97) عدم وجود أي طب علمي في المغرب وأن الطب تمارسه العجائز والحجامون الذين يعرفون الفصد وجبر الأعضاء المكسرة أو الطلبة الذين قضوا بضعة شهور في أوربا وحملوا معهم أدوية يسيئون استعمالها دون أن يعرفوا بالضبط الكمية الصالحة منها للعلاج ووافقه في ذلك المؤرخ (رينو) الذي لاحظ مع ذلك أن بعض المتطبيين كانوا يطبقون بمهارة بعض عمليات التشريح الصغرى (ص 128) وأن عملياتهم لم تكن تتمخض في الغالب عن ذيول خطيرة لندرة الاستعصاءات الناتجة عن التعفن أو الإصضاء والتقيح وقد أكد (كودارد) Godard في (وصف وتاريخ المغرب ج 1 ص 238) أن (الكي) كان أعظم دواء للجراحات كما لاحظ (رينو) أن الأطباء كانوا يستعملون أثناء العمليات الجراحية (السيكران) وهو عشب مخدر وكذلك (جوز الطيب) وقد أشار الدكتور (ميكيريز) في (كتابه الأخبار – طبعة عام 1859 م) بالجزائر إلى أن الأطباء المغاربة كانوا يستخدمون وسائل الإيحاء والتنويم في معالجة مرضاهم وأن هذه الوسائل لا تختلف عن الأساليب المستعملة لدى الأوربيين ومنها تعليق زجاجة لامعة مثلا أمام المريض فينام بينما ترسل المبخار روائح العطر والعود وقد وصف لنا ذلك

(رينو ص 131) مشيرا إلى المهارة الكبرى التي كان يتسم بها أطباء الأسنان (ص 122) وإلى الاستعمال لأعضاء بعض الحيوانات لمعالجة الأمراض وهي طريقة تستعمل في أوربا (ص 155) ومعرفة جدوى اللحوم غير المطبوخة وقد أكد الدكتور (فرانتزان) في (الأسبوع الطبي) (عدد 14 ماي 1898) استعمال مرارة الكلب العقور والتي تحتوي على مادة مضادة لجراثيم داء الكلب. أما الكحالون فإنهم كانوا يستخدمون (كما يلاحظ رينو ص 166) أعضاء حيوانية خاصة في أمراض العيون من ذلك الكبد والأوكياس التي توجد فوق الكليتين والتي استعملها أيضا (باطيس) في (نيويورك) ضد التهاب القرنية والملتحمة وكذلك (ضور) في ليون و(دراي) في باريس ووصف بنسيمون Bensimon في (مجلة المغرب الطبي) (شتنبر 1951) أنواعا من العلاجات التي لم يعد في نظره نزاع في جدواها منها أن المريض المصاب بالحصبة أي الحميرة (بوحمرن) كان يجعل في غرفة يكسى فراشها وجدرانها بلون أحمر وهذه الطريقة في العلاج لا يزال يستعملها الدكتور (شاطينيير) الذي لاحظ أن إليها يرجع الفضل في تخفيف تفجر الحميرة والحمى وتدارك الاستعصاءات.

وقد قارن مستشرقون بين ما عرف من أمراض في المغرب وأوربا فلاحظوا أن كثيرا من الأمراض المنتشرة لدى الغربيين غير معروفة بالمغرب ولا في الجزائر منها الحمى الوبائية المصحوبة بحبوب صغيرة والحمى الحصبية بينما تقل الإصابات بالدفتيرية أو التفويد (رينو ص 140) وبقدر ما كان السل يكثر في الصغار بقدر ما يقل عند الكبار أما الوباء فإنه لم يظهر في المغرب منذ 1818 وظهرت الكوليرا لأول مرة عام 1895 (ص 141) وكان الجذري يظهر كل سبع سنوات تقريبا ويعمد بعض الناس إلى التلقيح ضد الجذري بحقن جراثيم بثور و دماميل العجل أو الناقة وفي (عام 799) نقل الحجاج الطاعون من الحجاز إلى المغرب وصادف ذلك هجوم الجراد فتحطمت المحاصيل الزراعية وذكر القنصل الفرنسي (بروصوني) أن مراكش فقدت خمسين ألف نسمة من بين ستين ألفا من سكانها وفاس خمسة وستين ألفا والرباط عشرين ألفا من ثلاثين (رينو ص 81) وقد جرفت الكوليرا المغرب (عام 1859) أتية من إسبانيا (حسب رينو ص 86) أما في (عام 1865) فإن الوقاية لم تتحقق إلا بفضل التدابير الصارمة التي اتخذت في المعزل الصحي بالصويرة وطرد كل باخرة واردة من الأقطار المنكوبة مثل إيطاليا ومرسليا وتونس والجزائر واستمر هذا الحصار سنتين وقد أصدر السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان ظهيرا خاصا في عاشر رجب 1283 هـ (موافق 18 نونبر 1866 م) جعلت بمقتضاه جزيرة الصويرة محجرا صحيا للحجاج وكانت توجد في سائر مدن المغرب لجنة صحية تسهر على الصحة العمومية وطهارة المدينة وتموين الأسواق وجلب الماء الصالح (رينو ص 36) وكان المخزن يقوم بتطهير بعض الأزقة والشوارع ليلا وقد حاول مثلا تنظيم نقل الأزبال في الصويرة فجلب من الخارج أول القرن العشرين كناسات ورشاشات ميكانيكية ولكنها لم تستخدم (ص 37) ومن غريب ما يحكى أن في عام (1760) اقترح بعض الأسبان كنس الطرقات بمدرين من الأزبال التي تغمرها وتدنس المدينة فاحتجت الهيئة الطبية بقوة زاعمة أن أجدادها كانوا رجالا حكماء يعرفون ما يفعلون وأنهم عاشوا في الأزبال فلماذا لا نعيش نحن أيضا فيها (حضارة العرب - كوستاف لوبون) (الطبعة الفرنسية ص 638)

وخلاصة القول أنه لا يمكن أن يتحقق كل هذا علاجا ووقاية دون وجود شعور عام بضرورة كفاءة الصحة العمومية فلذلك عرف المغرب في العهد العلوي ثلة من الأطباء لا يخلو بعضهم من مهارة منهم عبد الوهاب أدراق طبيب المولى إسماعيل الذي انتهت إليه رئاسة الطب وقد ذيل في أرجوزة طبية أرجوزة ابن سينا (نشر المثاني ج 2 ص 251) وأبو عبد الله أدراق السوسي المتوفى (1090 هـ) ولا يزال أقاربه منتشرين بفاس للعلاج (ج 1 ص 226) وعبد القادر بن شقرون المكناسي صاحب الأرجوزة الشقرونية في 700 بيت (طبعت بفاس وتونس عام 1334 هـ) ولاحظ رينو (ص 5) أن هذه الأرجوزة لا تخلو من فوائد وأنها إسهام لا بأس به من المؤلف في المصطلحات الفنية في قاموس الطب المغربي وقد كثرت الأرجوزات وشروحها في غير تجديد ولا ابتكار منها أرجوزة محمد بن زاكور الفاسي صاحب (الدرة المكنوزة في تذييل الأرجوزة).

ومنهم أيضا إبراهيم بن أبي سعيد العلوي الذي تحدث (حاجي خليفة) عن كتابه في تقويم المفردات (رقم 3490) وعصر حياته مجهول

- عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الذي انفرد بتحقيق التعاليم من هيئة وطب (توفي عام 1096) (السلوة ج 1 ص 316) وله (كتاب الأَقْنوم في مبادئ العلوم) سرد فيه العلوم المعروفة في عصره منها فصلان (26 و 27) للطب وعمليات التشريح الصغرى وفن العلاج والفصل الأربعون عن البيطرة والفصل الحادي والأربعون عن فن الزردقة (وهو فن الحيوان) وخصص فصولاً من 198 إلى 201 للصيدلة وله رجز في الطب أشار إليه (ابن شنب) في الإجازة ويوجد في المكتبة العامة بالرباط كتاب (علم إعمار العقار وإبدالها وقوى العقاقير وعلم الأقراباذين).

أما أحمد بن محمد بن حمدون ابن الحاج فقد تحدث عنه (رينو) (الخطاب ص 8) كنموذج أخير للطبيب والعالم العربي الكامل وله (الدرر الطبية المهداة للحضرة الحسنية- ثلاثة أجزاء) (11) كما ذكر (رينو) أن ابن الحاج يعطينا للمرة الأولى في تاريخ المغرب تقسيماً فنياً للأدوية (توفي عام 1316 هـ) (الإعلام للمراكشي ج 2 ص 246)

ولعل أبرز هؤلاء الأطباء هو العلامة عبد السلام العلمي الذي بعثه الحسن الأول لدراسة الطب في القاهرة وله كتاب سماه "ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس" (طبع بفاس عام 1318 هـ).

وهذا الكتاب متين التحليل يعتبر نقطة تحول مهمة في تاريخ الطب المغربي حيث يحاول التوفيق بين المعطيات الطبية في الشرق والغرب مصححاً بعض أغلاط سلفه وبين المصادر المطبوعة ودروسه في مصر وتقاليد أطباء المغرب وصيادته حاكياً عن تجارب شيوخه في (قصر العيني) ومساهماته الشخصية في هذه التجارب حيث شارك في تحضيرات بالمعمل الكيماوي بمصر (12).

ومما يدل على استمرار دراسة الطب في جامعة القرويين في العهد الحسني ما أشار إليه (رينو ص 121) من اجتماع عقده أربعة من علماء فاس في ثامن شوال 1310 لامتحان طبيب مغربي فشهدوا بعد استفساره بتضلعه في الطب وقوانينه وتطبيقاته ومعرفة بتركيب الأدوية وتقسيم الشرايين ووظائفها وعددها وعدد العظام وتمييزه بين أنواع العصب والعضلات في الجسم ومعرفة النباتات والأزهار والأعشاب الطبية وخواصها وأسمائها وطرق إذابتها في الوقت الصالح والأوقات المناسبة لوصفها للمرضى وبعد المداولة بين العلماء خولوا للطبيب إجازة.

ولا بدع في ذلك لاسيما وأن الدولة العلوية أول من اعتنى بالبعثات الطبية التي لم تكن تعدو في الحقيقة مجرد ممرضين اختصاصيين فقد وجه الحسن الأول عدداً من الشبان المغاربة لدراسة الطب في أوربا ففتتبع ستة منهم تمريناً في المستشفى الأسباني بطنجة في ميدان الفحص والتضميد والتشريح البسيط وقد لاحظ (رينو) أن ثلاثة من هؤلاء الأطباء المغاربة كانوا يعملون في طنجة ومراكش في الجيش وقد تعززوا بأطباء أجانب منهم الطبيب الإنجليزي (لمبرير) (عام 1789) و(اللورد شاطام) حاكم جبل طارق (عام 1823) والدكتور (براون) (1826) (الذي منحه السلطان رخصة لممارسة فن الطب في مجموع المغرب) و الدكتور كسطيكيكس الطبيب العسكري الملحق بقنصلية فرنسا بطنجة وذلك بالإضافة إلى أطباء كان الحلف الإسرائيلي العالمي يوجههم إلى يهود المغرب (13).

والواقع أن المغرب لم يستفد لا من هذا ولا من ذاك فضل في تدهور موصول لسطحية الجهود المبذولة ولعدم المتابعة والتشجيع في حين قامت دول متخلفة أخرى بنفس المجهود مثل (اليابان) ولكن بمثابة ومراقبة وأعظم نموذج لهذا النشاط المهزوز والمهلهل هو ان مارستان سيدي أحمد بن عاشر الذي بناه المولى سليمان بسلا (السلوة ج 3 ص 232) ما فتى أن استحال إلى ملجأ للمعتوهين ومثله كثير.

(11) يوجد ثلاثة أجزاء في المكتبة الوطنية بالرباط يقع الجزء الأول في 403 صفحة) ويختص القسم الأول منه بمبادئ الطب والطبائع والثاني في ضروريات الحياة (الهواء والأغذية والأشربة) والثالث في الأدوية المفردة أما الجزء الثاني فيختص بالأمراض وطرق علاجها والجزء الثالث في الخواص الطبية

(12) راجع تفاصيل تجاربه في كتابنا الطب والأطباء بالمغرب (طبعة 1964 ص 86).

(13) راجع كتاب لوطورنو - طبعة 1949 ص 184

ولعل هذا الخلل الصارخ هو الذي حدا الدولة العلوية - رغم جهودها الموازية منذ عهد المولى إسماعيل - إلى السماح للدول أوربية بإنشاء مستشفيات في مختلف حواضر المغرب (14). فهو خلل له جذور ذاتية توكلية زادت دسائس الاستعمار ركودا وانهماكية. فإذا قورن هذا بما عرفناه في الأندلس منذ القرن الخامس الهجري أدركنا مدى التدهور العلمي بالمغرب طوال الأربعة قرون الأخيرة فقد عرف العالم العربي حتى المستشفيات المتنقلة في البوادي و الأقاليم الصحراوية النائية فقد ذكر المقري في ترجمة عبدالله بن المصطفى الباهلي الأندلسي المولود عام 516 هـ (و قيل 518 هـ) الذي أتم دراسته الهندسية و الطبية بالصعيد المصري و الإسكندرية ثم انتقل إلى بغداد حيث أصبح طبيبا للسلطان محمود بن مالك شاه الذي أنشأ له مارستان ينتقل على أربعين جملا

(14) كتاب (الطب والأطباء بالمغرب ص93- 94)

المصادر

مكتبة الرباط : توجد بها المخطوطات الآتية :

- خواص النباتات لعبد الغني بن أبي سرحان بن مسعود الزموري في 16 ورقة
- شرح الألفاظ الطبية للزموري المذكور في 14 ورقة
- أرجوزة في الطب نظمت لأبي سعيد عثمان المريني المتوفى عام 731 (ناظمها غير مذكور وهي 15 ورقة)
- ودرة الأنوار في تحقيق صنائع الأبرار لمحمد بن الحاج الكبير في 18 ورقة (منظومة في الطب)
- المختصر الفاسي في عمل الطب وهو علاج الأمراض بحسب أسبابها وعلاماتها وما ينصرف إلى ذلك (الجزء الثاني فقط) للصقلي الأندلسي.
- وتقويم الأدوية فيما اشتهر من الأعشاب والعقاقير والأغذية للعلائي إبراهيم بن أبي سعد إبراهيم المغربي (نسبه الناسخ إلى يوحنا بن بختيشوع الفارسي وجاء في كشف الظنون ج 1 ص 320 أنه للفيلسوف إبراهيم وكتب عنه رينو (هسبريس 1933 ج 16 ص 69 إلى 74)
- حافظ المزاج ولافظ الأمشاج بالعلاج المعروف بالأرجوزة في الطب للفشتالي (أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن عيسى الغول في 1410 أبيات يوجد شرحها لمؤلف غير مذكور) في (27 ورقة).
- علامة السعادة في حكم الأغذية المعتادة (أرجوزة في 1080 بيتا) (35 ورقة) لعلي بن حسن بن علي ابن خلف المراكشي القيسي.
- مجموع المنافع في علم الطب النافع لمحمد بن أحمد البعقلي 9 ورقات)
- تأليف في الطب لمحمد بن يحيى الهشتوكي الشبي (87 ورقة)
- وآخر للشيخ الرئيس محمد الشقوري (8 ورقات) و تقايد كثيرة في الطب

وفي خزانة القرويين :

- سفر من عمل "من طب لمن حب" لابن الخطيب السلماي ألفه لأبي سالم بن أبي الحسن المريني والمظنون أنه بخط المؤلف نفسه
- "كامل الصناعة في الطب " جزء واحد ينسب للمجوسي علي بن عباس
- " الاستقصا والإبرام في علاج الجراحات والأورام " لمحمد ابن علي ابن فرج الفهري في ثلاث مقالات (بالجيم حسبما ورد في الإحاطة – مخطوط الاسكوريال رقم 1673 ص 147 خلافا للكازري ولوكليز الذين كتبوه بالحاء) وهو ملقب بالشفرة وقد كتب بحثا حوله م رينو (هسبريس ج 20 عام 1935)
- " الحميات " لأبي يعقوب إسحاق بن سليمان
- " كتاب الطب " لابن العين زربي
- " طبائع الأغذية وقواها " لإسحاق بن سليمان الإسرائيلي
- "الفصول لابقراط " وشرح جالينوس
- " الميامين العشر " في تركيب الأدوية لجالينوس
- " تخلق الجنين " المنسوب لابن الخطيب (أوراق مختلطة متلاشية)

وهناك أيضا شذرات من أدوية العيون وعللها والتشريح الكبير لجالينوس (ترجمة حنين بن إسحاق) وكذلك "حلية البرء" لجالينوس أيضا ترجمه حنين بن إسحاق وهو يحتوي على جل المقالة الرابعة والخامسة والسييسر من أوائل السادسة وكذلك المقالة الثانية عشرة ثم مقالات في الأعشاب والعقاقير ورجز في علم الطب يتجاوز سبعة آلاف بيت لابن الطفيل محمد بن عبد الملك.

وفي خزانة جامع ابن يوسف بمراكش يوجد:

- مختصر جمعه حسين بن طلحة الشوشاوي واختصره أحمد ابن سليمان الرسموكي - يقع في 4 صفحات مبتورة الأخير " شرح المفردات الطبية " مرتبة على حروف المعجم ويليها أسماء الأمراض وأوصاف العلاج مرتبة كذلك على حروف المعجم - تقع في 110 صفحات كتبت سنة 1290 هـ.
- " الهدية المقبولة في حلل الطب المشمولة " - تأليف أحمد ابن صالح الدرعي أرجوزة تامة بها 1011 بيتا مكتوبة بخط لا بأس به - ومعها شرحها بقلم ناظمها ، يقع الشرح في 520 صحيفة ، كتبت سنة 1274 هـ.
- " رسالة في الطب " مجهول مؤلفها مكتوبة بخط شرقي جميل تقع في 210 صفحات مبتورة الأول و الأخير.
- "رسالة في الطب" مبتورة الأول والأخير تقع في 100 صحيفة
- "كتاب في الطب" لعله شرح لكتاب حنين بن إسحاق - تأليف علاء الدين أبي الحسن بن النفيس القرشي المتوفى سنة 698 هـ - يقع في 290 صحيفة
- "التصريف لمن عجز عن التأليف" تأليف أبي القاسم الزهراوي الأندلسي

في خزانة تمكروت بالصحراء يوجد:

(استقيننا هذه المعلومات من الأخ الأستاذ إبراهيم الكتاني رئيس قسم المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بالرباط)

- النصف الأول من الأدوية المفردة في النبات للغافقي أبي جعفر أحمد محمد بن أحمد
- " المفردات في الأدوية " (الجزء الثاني) لأبي جعفر أحمد بن محمد.
- ومعلوم أن كلية الطب بالجامعة المصرية نشرت جزءا من منتخب جامع المفردات للغافقي انتخبه ابن العبري المتوفى عام 684 هـ مع ترجمته الإنجليزية وشروح الدكتور ماكس ماير هوف والدكتور جورج صبحي أستاذ الجامعة المصرية وهو المؤلف الرابع من منشورات كلية الطب وقد لاحظ الناشر أن جامع الأدوية المفردة للغافقي توجد منه نسختان إحدهما مغلوطة بكوثا (ألمانيا) والثانية صحيحة ومضبوطة بمكتبة تيمور
- التيسير الجامع في المداواة والتدبير لعبد الملك بن زهر
- مجموع يحتوي على منظومة لعبد الرحمن بن محمد بن مسعود بن عمر في الطب ثم تفسير أعشاب وعقاقير تدور على ألسنة الأطباء لنفس المؤلف وهي مرتبة على الحروف
- تفسير ما تضمنته كلمات خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطبية للطبيب قاسم الممتوني (؟)
- المنهج القوي والمنهل الروي في الطب النبوي للسيوطي
- الأسباب والعلامات في الطب لم يسم مؤلفه
- مجموع فيه برء العيون الرمدة في شرح حديث المعدة للقرطبي ومعه تأليف ابن الجزار في الطب وفيه 80 بابا ومعه كذلك الأدوية المفردة لامية ابن العزيز
- العمدة في صناعة الجراح لابن القف وفيه عشرون مقالة (مجلد ضخمة) طبع بحيدرآباد في ثلاثة أجداد
- المجلد الأول من القانون لابن سينا والثاني منه وهو المشتمل على الأدوية المفردة
- الأول من شرح القانون لابن سينا
- الموجز في الطب لعلي بن أبي الحزم بن النفيس القرشي كتب سنة 860 وكذلك نسخة أخرى منه
- الطب الروحاني لمحمد بن زكريا الرازي
- مجموع في الطب فيه :

(1) الأدوية المضمونة التي تسمى التجربة الطبية لجالينوس ترجمة حنين بن إسحاق

- (2) نصائح الرهبان لجالينوس
 - (3) أدوية لابن واقد
 - (4) كتاب العلامات
 - مجمع المنافع البدنية في الطب لداود الأنطاكي
 - الأول من المنجز بشرح الموجز من القانون في الطب والموجز لابن النفيس والشرح لمحمد بن أحمد الغساني
 - شرح على متن علاء الدين علي القرشي في الطب للنفيس ابن عوض
 - كتاب المنجز بشرح الموجز للغساني (الجزءان الثالث والرابع في مجلد مبتور)
 - حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب والعقار للغساني ومعه أوراق من كتاب في الطب
 - كتاب في الطب فيه القواعد العلمية والعملية والأدوية والأمراض لعلاء الدين بن أبي الحسن
 - مجموع يحتوي على :
 - (1) البيان في تدبير صحة الإنسان
 - (2) ما نقل من ذهاب الكسوف من كلام عبد الله بن عزوز
 - (3) كتاب الدكان للعجلاني ثم منظومة أدراق في النبات
 - (4) ما نقل من النفحة المددية في العشب الهندية لعبد القادر بن شقرون
 - (5) جفريّة لأحمد العروضي
 - (6) ما نقل من كتاب الرحمة
 - النزهة لداود الأنطاكي
 - مختصر تذكرة السويدي لعلي الخزرجي
 - كتاب ما لا يسع الطبيب جهله (لم يذكر مؤلفه)
 - جزء مبتور في العلاج والجدول
 - شرح محمد بن الحسن السوسي المراكشي على الهدية المقبولة في الطب لأحمد بن صالح الدرعي الشاوي
 - الدرر المحمولة في الهدية المقبولة في حلل المطالب المشمولة
 - تذكرة أولى الألباب الجامعة للعجب العجائب للأنطاكي
 - نسخة أخرى منه وكذلك الثاني منه
 - مختصر في علم الأبدان لا يجهله الإنسان ولا يحتاج في معرفته إلى أعوان لشهاب الدين القيلوبي (نسخة أخرى منه)
 - دقتر فيه عدة تقاييد في المفردات الطبية
 - مجموع من جملة ما فيه معجم في المفردات الطبية
 - مجموع فيه منظومة التحفة العزيزة في الطب لابن سينا
 - مجموع آخر فيه منظومات ف شرب السكنجيين والمسهلات ومنظومة لابن الخطيب في الطب وأخرى لغيره في الأغذية مرتبة على حروف المعجم والتحفة العزيزة لابن سينا ومنظومة أخرى لابن سينا
- وفي المكتبة العامة بتطوان يوجد :

- المغنى في شرح موجز في الطب لسديد الكزروني
- شرح قصيدة ابن سينا في الطب "الإيضاح والتتيم..." (جزءان)
- كتاب التوفيق للطبيب الشفيق لمحمد الحكمي الحنبلي
- الهدية مقبولة في حلل الطب المشمولة لأحمد بن صالح الدرعي
- كتاب الطب الكيماوي لبراكلوس
- الرحمة في الطب والحكمة لعبد الرحمن السيوطي
- التذكرة السعدية في الطب (أربعة أجزاء)
- كتاب الكليات لابن رشد (نسخة بخط يد عيسى بن أحمد القرطبي ، نسخها عن نسخة المؤلف عام 583 هـ منقولة بالتصوير الشمسي) من منشورات معهد الجنرال فرانكو العرائش 1939

مكتبة الزاوية العياشية بالمغرب الشرقي :

- المنهج في التداوي من صنوف الأمراض
- جزء من قانون ابن سينا
- أرجوزتان لابن سينا
- كتاب ما لا يسع الطبيب (جهله) لمؤلف عراقي

- الوصول لحفظ الصحة في الفصول
- شرح منظومة ابن سينا لابن طلوس
- شرح الكلم النبوية في الحكم الطبية لابن حلوان
- الجزء الأول من كتاب التصريف لأبي قاسم
- تأليف ابن النفيس
- شرح منظومة ابن سينا أيضا
- النصف الثاني من التذكرة
- مختصر تذكرة السويدي للشعراني
- تأليف العجلاني في الأشربة والمعاجين و الأذهان

خزانة مولاي عبد الله الشريف بوزان :

- التذكرة والنزهة للانطاكي
- الثاني من الكناش للحسن بن سيدي علي
- تذييل على التذكرة لبعض تلامذة الأنطاكي
- تأليف الصقلي
- رسالة علي بن عباس في الفصد مع تأليف آخر له
- الثاني من منظومة وشرحها في أصول الطب
- منظومة ابن الخطيب
- الأول من مفردات ابن البيطار
- شرح قصيدة ابن سينا ليوسف بن محمد بن طلوس
- إغفاء العين والأثر من السقم والضرر لأحمد بن قاسم بن زاكور
- تأليف لمحمد بن يحيى السبتي
- تحفة الأحباب في ماهية النباتات والأعشاب الهدية لأحمد الدرعي
- المفردات التي لم يدركها المتقدمون لحسن العجمي
- نظم لعبد الوهاب أدراق في الشاي والنعناع والقهوة

فهريس المراجع

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس لعبد الرحمن بن زيدان (5 مجلدات)
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع (مجلدان)
- الإعلام بمن حل بمراكش و أغمات من الاعلام لعباس بن إبراهيم (8 مجلدات)
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين أبي الحسن علي القفطي
- أعراف المسلمين وعاداتهم لكويتي
- البيان المغرب في أخبار المغرب لابن عذارى المراكشي
- تاريخ طب العرب لوكثير (مجلدان) (ج 1 و 2 طبعة بيروت و ج 4 طبعة تطوان)
- تاريخ مسلمي أسبانيا لدوزي و زيادات ليفي بروفنسال (لبد 1932)
- تاريخ الدولة السعدية لمؤلف مجهول نشرة جورج كولان عام 1353 – 1934
- تاريخ المغرب لكواساك دوشافر وببير
- تاريخ الضعيف (مخطوط الخزانة العامة بالرباط)
- تاريخ الرباط لكايي
- تاريخ إفريقيا الشمالية لأندري جوليان
- التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات التادلي
- جذوة الاقتباس فمن حل من الأعلام بمدينة فاس لأحمد ابن القاضي (طبعة فاس)
- الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية
- حضارة العرب لكوستاف لوبون (الطبعة الفرنسية)
- الخطط والآثار للمقريري (طبعة بولاق)

- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر لمحمد بن علي بن عمر الحسني المعروف بابن عسكر (الطبعة الحجرية بفاس)
- درة الحجال في غرة أسماء الرجال لأحمد بن محمد بن أحمد بن القاضي الرباط - 1934
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون (طبعة فاس)
- الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر بن محمد النعيمي - جزءان اثنان
- الذخيرة السنوية في تاريخ المرينية نشره ابن شنب - الجزائر 1920
- الذيل و التكملة (مخطوط) ثلاثة مجلدات
- زهرة الأس في بناء مدينة فاس لعلي الجزنائي نشره و ترجمه الفريد بيل بالجزائر عام 1922
- طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (جزءان)
- الطب القديم بالمغرب للدكتور رينو (نشرة معهد الدروس العليا عدد 1)
- الصحة والطب بالمغرب للدكتور رينو (الجزائر 1902)
- "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" جزء من المسالك و الممالك للبكري) نشره دوسلان بالجزائر عام 1911
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (طبعة سلا عام 1357)
- المعجزة العربية بقلم ماكس فينتجو و تقديم الأستاذ ماسينيون
- معجم البلدان لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (طبعة القاهرة 1323-1906) في 8 المجلدات
- "المغرب في السنوات الأولى للقرن السادس عشر" لوحة جغرافية حسب ليون الإفريقي بقلم ماسينيون الجزائر (1906)
- مدارك القاضي عياض (مخطوط)
- المنتقى المقصور على مآثر خلافة المنصور (مخطوط لابن القاضي)
- محاضرات ميشو بيلير المستندات المغربية عام 1927
- مؤرخو الشرفاء ليفي بروفنصال
- مجلة المغرب الطبي (عدد شتنبر 1951)
- مؤسسات و أعراف البربر بالمغرب (سوردون)
- المغرب المجهول موليراس باريس 1895
- المستندات المغربية المجلد الثاني
- مراکش لإدمون دوتي
- "المغرب المعاصر مملكة تنهار" لودفيك دوكامبو - باريس 1886
- المغرب الحديث لجول اركمان - 1885
- "نخب من المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن" للخطيب بن مرزوق ليفي بروفنصال - هيسبيريس ج 5 عام 1925
- نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بمفاخر البربر لمؤلف مجهول ألفه عام 712 هـ نشره ليفي بروفنصال
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا السوداني (طبعة فاس)
- نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر و الثاني لمحمد بن الطيب بن عبد السلام القادري مجلدان (المطبعة الحجرية فاس)
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري 4 مجلدات بولاق
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (ج 12 خاص بالنساء)
- ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس (طبعة فاس 1318)
- العصور الغامضة للمغرب لكويتي
- فاس و جامعتها و التعليم العالي لدلفان - وهران 1889
- قضية المغرب لشارل لامارتينيير (طبع عام 1859)
- سلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني 3 مجلدات (طبعة فاس)
- شهيرات المغرب (مخطوط) لمحمد العبدوي الكانوني
- هسبيريس مجلد 16 عام 1933 و مجلد 6 عام 1926
- وصف إفريقيا الشمالية و الصحراء مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي (طبعة هينري بيريز بالجزائر عام 1957)
- وصف و تاريخ المغرب - ليون كودار باريس 1860 (مجلدان)
- وثائق مغربية غير مطبوعة لدوكاستر
- الوثائق المغربية (مجلد 11 عام 1907)

Références

- Renaud H.P.J. Les origines de la médecine arabe en Espagne , Bull. franç. Soc.fr.hist. méd. 30 (1935) , p. 321-332
- Aly Zaki , la chirurgie arabe en Espagne, Bull. franç. Soc.fr.hist. méd. 26 (1932) , p. 236-244
- Aly Zaki , la psychothérapie arabe en Espagne, Bull. franç. Soc.fr.hist. méd. 30 (1936) p. 268- 271
- Meyerhof, M. , la surveillance des professions médicales et paramédicales chez les Arabes. BIE 26 (1944) p.119-134
- Laignel-Lavastine, M et Milad Ahmed Ben. L'école médicale de Qayraouane aux Xème et XIème siècles Bull. franç. Soc.fr.hist. méd. 27 (1933) p.235-242
- Menetrier, M.P., Le millénaire de Razès. La médecine arabe, son rôle dans l'histoire et son influence sur la médecine française , Bull. franç. Soc.fr.hist. méd. 2b (1931) p.191-202
- Renaud H.P.J. , Un médecin du Royaume de Grenade, Mohammad Assaouri. Hesperis 20 (1935), p.1-20, note complémentaire, 27 (1940), p.97-98
- Renaud H.P.J. , La découverte de la circulation pulmonaire par Ibn Nafis, médecin arabe du Caire XIII ème BIE à 6 (1934), p. 33-46
- Chehadé A., Ibn Nafis et la découverte de la circulation pulmonaire. Damas 1955
- G. Anawati, la médecine arabe jusqu'au temps d'Avicenne, dans les mardis de Dar As-Salam, Paris 1956
- Joseph Hrèze, La part de la médecine arabe dans l'évolution de la médecine française, Paris 1922
- Mièli A., La science arabe et son rôle dans l'évolution scientifique mondiale. Leiden 1938.
- Renaud H.P.J., La prétendue « hygiène d'Abulcasis » et sa véritable origine. Lisboa, 1941
- Renaud H.P.J., Trois études d'histoire de la médecine arabe en Occident chez les musulmans d'Espagne. (dans Al Andalous, 1935)
- Leclerc, L. La chirurgie d'Abulcasis, Paris 1861.)